

البطل الملهّم وهواجس التاريخ في الرواية العربية رواية "كوش كو" للكاتب ولاء كمال نموذجاً

The Inspired Hero and Historical Obsessions in the Arabic Novel Walaa Kamal's Novel "Kosh Ku" as a Model



دكتور/ عزوز علي إسماعيل*

أستاذ الأدب والنقد والبلاغة المساعد

رئيس قسم اللغات والترجمة الفورية

معهد القاهرة العالي للغات والترجمة الفورية والعلوم الإدارية

azozali@live.com

تاريخ الاستلام: 2024/12/14 تاريخ القبول 2025/05/05 تاريخ النشر 2025/06/03



الملخص

يتناول هذا البحث البطل الملهّم في الرواية العربية، ومدى إلهام هذا البطل وتطور البطل مع الفكرة التاريخية التي ترمي إليها الرواية، والتي حملت عنوان "كوش كو". وقد حاول الكاتب تأكيد أهمية المكان في العمل الروائي باعتباره منطلقاً للشخصية الروائية، فأصبح ذلك المكان هو الآخر البطل مع الشخصية المحورية في العمل؛ حيث تناول العمل قضية الاحتلال الإنجليزي لمصر في بدايات القرن الماضي، وقبله بقليل في أثناء ثورة أحمد عرابي، وكيف كانت التبعية للسلطان العثماني، وألحّ الكاتب على أهمية النضال الوطني خاصة مع ثورة 1919، وزعيم الأمة سعد زغلول، ومدى الالتفاف والتلاحم الوطني حول هذه الشخصية التاريخية. وجعل الكاتب من البطل أيقونة قابلة للتعلم والنمو الثقافي والفكري من خلال قابليته وشغفه وحبه للقراءة والاطلاع؛ لدرجة أنه تعلم لغات أخرى بعد أن جاء إلى القاهرة، وهو لا يعلم شيئاً وقد تهيأت له الظروف ليصبح له دور مهم في النضال الوطني، على الرغم أنه كان يعمل خادماً في فندق "شيرد" المعروف. وقد كان الزمان والمكان دائريين من خلال

* المؤلف المراسل

المحور الأساسي فيه، وهو فندق "شبرد" بالقاهرة، وقد بدأ الكاتب العمل من بلاد النوبة بمصر مع البطل وانتهى بها أيضاً حين عاد البطل إلى بلده. من هنا يتبين أن البطل كوش هو مصر، ومصر هي في شخص البطل كوش المناضل من أجل حقه في الحياة.

الكلمات المفتاحية

البطل — التاريخ — النضال — الاستعمار — الاستقلال — الهوية — المكان

Abstract

This research looks at the idea of the "inspirational hero" in Arabic literature, focusing on how the protagonist of the novel *Kushko* evolves alongside the historical events in the story. The novel is set during the early 20th century, covering the period of British occupation in Egypt, the Urabi Revolution, and the growing national movement, especially around the 1919 Revolution. It also highlights the role of Saad Zaghloul, a key leader in Egypt's independence struggle.

The author makes the protagonist a symbol of personal growth and intellectual development. Starting off as a servant in a Cairo hotel, the hero has a deep love for reading and learning. He teaches himself new languages, and over time, becomes more involved in Egypt's fight for independence. The novel shows how his journey of education and self-improvement plays a key role in his participation in the national struggle.

The story takes place mainly in Cairo's *Shepherd* Hotel, and the narrative structure is circular—starting and ending in the protagonist's home region in Nubia. This loop reflects both the hero's personal growth and the ongoing struggle for national freedom.

Key Words

Hero – History – Struggle – Colonization – Independence – Identity – Place

المقدمة

رواية "كوش كو" للكاتب المصري ولاء كمال¹ تبرهن على قدرة هذا الكاتب على تحول الأحداث الواقعية التاريخية إلى أحداث فنية عبر رواية. بالفعل أخذ الكاتب من الواقع الماضي لبلده مصر ما استطاع من خلاله سرد أحداث شخصية "خادم" ويصل بمحذ الشخصية إلى عنان السماء واستند فيها إلى كتابات تاريخية حقيقية، وهو ما جعله يصدر عمله بما خطه سعد زغلول حول تلك الشخصية المخلصة حين ذكر قوله "وهذا الخادم الفريد من نوعه يتجسد فيه كل ما أتمناه لمصر المستقبل"². وهو بالفعل خادم من النوبة "كوش كو" يصل إلى القاهرة قبيل بداية القرن الماضي بصحبة خاله ليعمل خادماً في فندق "شبرد" المعروف في قلب القاهرة، وفي أثناء فترة عمله عاش بين

جنبات ذلك الفندق العريق ومع شوارع العاصمة والحياة السريعة، الأمر الذي جعله يقابل عدداً من الشخصيات المختلفة، على رأسها الفتى الضير طه حسين ليتعلم منه القراءة والكتابة، شريطة أن يخدمه ويقوم على احتياجاته فأصبح على قدر كبير من الثقافة والاطلاع في مختلف العلوم، ولكنه في نهاية الأمر إلى إدراكه أنه مجرد خادم، وسيظل على حاله، رغم مقابلاته لشخصيات عديدة بعضها جيد والآخر رديء. وكثيرة تلك التناقضات التي وجدها في هذه الشخصيات أو تلك، ولم تكن تلك الشخصيات إلا مجرد وسيلة لسلط من خلالها الكاتب الضوء مع كوش كو بطل العمل على التاريخ المصري مع ذلك المحتل، وأيضاً تسليط الضوء على مصر التابعة للسلطنة العثمانية، وما انتاب البلاد آنذاك من أمور صعبة مع فترة الخديوية التي كانت تحت حكم الاحتلال البريطاني، وينجح الكاتب في تحويل ذلك التاريخ إلى فضاء درامي رائع يجعلنا ننتبه إلى الكنوز المفقودة في الكتابة العربية. فما زال الروائيون يتعلقون بأستار التاريخ في سرد روائي تاريخي. "والنص من خلال ترصده للواقع لا يرغب تقديم البديل. وإنما يشهد على الفترة بعد أن يشاهدها ويعاينها. والبديل ليس من خاصيات المبدع، وإنما هو من خاصية الذين يملكون الحلول السياسية. وهذا لا يعني بُعد النص عن الأيديولوجيا، وإنما قد تكون هذه الأيديولوجيا ثقافة إيجابية"³. وهو الأمر الذي سعى إليه الكاتب في هذا النص التاريخي الثقافي، خاصة حين تناول ثورة 1919 وما عاناه المصريون من المحتل الإنجليزي ومن جاء بعده.

من هذا المنطلق سوف يتخذ الباحث المنهج التاريخي في دراسة هذا العمل؛ فهو من أنسب المناهج النقدية لدراسة هذا النص الإبداعي الجيد، ولم يكن هو النص الإبداعي الأول للكاتب بل إن هناك عدداً من الأعمال الروائية الأخرى لديه، والتي أثرت بالفعل في حركة الرواية العربية في الوقت الحاضر، وكان ذلك من أهم الأسباب التي جعلتني أبحث في هذا العمل الضخم، فضلاً عن أن هذا العمل يتناول تاريخاً حقيقياً لمصر، دافع عنه المخلصون في بدايات القرن الماضي فظهر المناضلون ضد الإنجليز، وأيضاً الخونة من المصريين. "يقصر أغلب المؤرخين معنى التاريخ على بحث واستقصاء حوادث الماضي، كما يدل على ذلك لفظ "historia" المستمدة من الأصل اليوناني القديم، أي كل ما يتعلق بالإنسان منذ بدأ يترك آثاره على صخر الأرض، بتسجيل أو وصف أخبار الحوادث التي ألمت بالشعوب والأفراد. وقد تدل كلمة تاريخ على مطلق مجرى الحوادث الفعلي الذي يصنعه الأبطال والشعوب"⁴. فالمنهج التاريخي وفق هذا النص يعمل على "إبراز الظروف التاريخية والاجتماعية التي أنتج فيها النص، ودراسته لا تكون هدفاً قائماً بذاته، بل تتعلق بخدمة هذا النص، والعالم بالبيئة

الاجتماعية التي طرأت على الأمة وتاريخها علماً تاماً، يستطيع أن يتبين ذلك كله في أدبها⁵، يضاف إلى ذلك أن المنهج التاريخي يهتم بكل ما هو خارج النص وله ارتباط بجذائته كما في الثورات وما يتناوله الأدباء كما فعل الكاتب هنا في الثورة العربية 1881 وفي ثورة 1919 "فيذهب المنهج التاريخي في النقد بشكل خاص إلى أهمية ما هو خارج النص ومعرفة سياقاته، وهذا ما دعا النقاد إلى استنباط القيم من الواقع الخارجي"⁶.

كوش كو/ البطل والتاريخ القديم

لعب الكاتب في هذا العمل على التاريخ وربط كوش كو كشخصية رئيسية بالتاريخ، حتى في الاسم نفسه فقد "سمي كوش تيمناً باسم المملكة القديمة التي قامت إثر تفكك المملكة الفرعونية الحديثة، فتمكنوا من أن يصبحوا ملوك أسرة فرعونية حكمت مصر بأكملها من أعالي النوبة، فهو إذاً لقب أسلافه الذين سكنوا أعالي النيل لآلاف السنين، أما كو فتعني "الأسد" في النوبة، وهو ليس اسم أبيه ولكنه ملحق باسمه"⁷.

يربط الكاتب بين بلاد النوبة وبين القاهرة في رحلة عظيمة قام بها البطل من أجل تحسين وضعه المالي، فيعمل في أرقى الفنادق في قلب القاهرة في فندق "شيرد" ليربط تاريخ مصر معاً؛ لأن تاريخ الحضارة المصرية يمتد عبر ربوعها من بلاد النوبة جنوباً حتى الإسكندرية شمالاً، وقد جعل الكاتب من بطله إشكالية كبرى، من ناحية أنه خادم في فندق شهير ومن ناحية أخرى يسعى هذا الخادم الملهَم للتعلم، حتى ولو كان يعمل هذا العمل الشريف. ويعنون العمل باسم البطل "كوش كو" وهو كلمة واحدة، وكلما كان العنوان قليل الكلمات كلما كان قوي الدلالة مثل "الأيام" لطف حسين، و"الأرض" لعبد الرحمن الشرقاوي و"زينب" لهيكل.. و"يأتي العنوان الكلمة الواحدة معرفةً أو نكرةً والعنوان المعرفة هو الذي يدلُّ على معين ومحدد لأشياء بذاتها في ذهن المتلقي ووجدان الكاتب"⁸. ويذكر لنا الدكتور محمد فكري الجزار أنَّ العنوان "باعتباره قصداً للمرسل يؤسس أولاً: لعلاقة العنوان بخارجه، سواء كان هذا الخارج واقعاً اجتماعياً عاماً أو سيكولوجياً، وثانياً: لعلاقة العنوان، ليس بالعمل فحسب، بل بمقاصد المرسل من عمله أيضاً، وهي مقاصد تتضمن صورة افتراضية للمستقبل، على ضوءها، كاستجابة مفترضة، يتشكل العنوان لا كلفة، ولكن كخطاب"⁹.

نرى كذلك أن "كوش هو الاسم الذي أطلق على فترة من الزمن من تاريخ النوبة، فقد كانت لها عاصمتان متتاليتان نبتة ومروى، وهناك اتفاق عام أن كوش امتدت من عام 900 إلى 350

ق.م¹⁰. و"أطلق اسم كوش من قديم الزمان على جزء من منطقة النوبة يشمل المنطقة جنوب الشلال الثاني والتي تمثل بلاد النوبة العليا، حيث قامت حضارة وادي النيل النوبية الكوشية. بدأ الحكم الكوشي في النوبة بعد انحيار العصر البرونزي وتفكك المملكة المصرية الحديثة. تركزت كوش في (نبتة) خلال مرحلتها الأولى. تأثرت المملكة الكوشية بشكل كبير بمصر القديمة ثقافياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً"¹¹. و"في عام 591 قبل الميلاد، حاول الملك الكوشي أسبالتا غزو مصر التي أصبحت تحت حكم الأسرة السادسة والعشرين إلا أنه هزم، وتبع ذلك تعرض مملكة كوش لغزو أطلقه الفرعون بسماتيك الثاني"¹².

وحين يربط الكاتب بين التاريخ القديم المتمثل في انحدار اسم كوش كو الحديث، فإنه يأخذ من كوش كو طريقاً للاتكاء على التاريخ الحديث، كما كان في بدء العمل؛ حيث نرى الحديث عن زيارته مع خاله إلى بيت أحمد عرابي، كي يضعنا الكاتب في بؤرة الأحداث التاريخية منذ أن جاء إلى القاهرة في بداية القرن الماضي وما قبله بقليل حتى يصاب كوش كو بالدهشة: "وستظل الدهشة طوال حياته، هي أكثر ما ميز كوش كو. الدهشة التي تصاحبه وتلازمه أينما ذهب. لم يكن يدرك أبداً مدى غنى حياته، ولا الأحداث والوقائع التي مرَّ بها، وكان يتعامل معها جميعاً بقدر من عدم اليقين يجعله لا يفتن إلى فداحة تلك الأحداث وخطورتها على الأمة، ومكانتها التاريخية"¹³.

إن البطل في العمل هو ذلك الشخص الذي جعله الكاتب في مقدمات الشخصيات صاحبة المسؤولية الكبرى عن أفعالها، ويختلف البطل من عمل إلى عمل؛ فهناك البطل الملحمي، كما هو في الملاحم والأساطير القديمة والتي يستطيع أن يأتي بما لا يستطيعه الآخرون، نحو أخيل بطل الإلياذة لهوميروس من أجل إنقاذ هيلين، وكذلك الأمر البطل الخرافي، وهو ما رأيناه عند ابن المقفع في كليلة ودمنة والحديث على لسان الحيوانات خوفاً من بطش الحاكم، وهو ترجمة عن كتاب بيدبا الفيلسوف الهندي. والبطل لا بد أن يكون لديه القدرة على التطور الدائم في العمل والانتقال من جزء بسيط كما كان عند كوش إلى ما هو أكبر من خلال التعليم، والرغبة الصادقة في المعرفة عنده أيضاً، فهو بطل واقعي لديه وعي حقيقي بالواقع المعيش، هذا الوعي الذي عناه الدكتور محمد غنيمي هلال حين ذكر أن "ثمة مفهوماً آخر ظهر للبطل على يد الواقعيين في الآداب الغربية يتحدد في كونه سوي الشخصية التي يعني المؤلف بها عناية كبيرة فيلقي الضوء على جميع جوانبها النفسية لتمثيل نوع السلوك الذي هدف الكاتب إلى تصويره في عمله"¹⁴.

من هنا يصبح البطل شخصية مهمة، و"تکمن أهميته في أنه ينقل مجازاً عن الآخرين في المجتمع ما يطنونه من أفكار ومشاعر، هموم ومآسي، تظهر من خلال حواراته الداخلي الذي يعبر عما أصاب الإنسان من إحباط وخيبة، مصير تعيش في العصر الحديث أمام تحديات المجتمع وما تفجر منه من قيم متداخلة، وصراعات فكرية حادة"¹⁵.

في البدء يقوم كوش كو وخاله وخولي بزيارة الزعيم أحمد عرابي يقول الكاتب على لسان أحمد عرابي: "أقدر لكم مجيئكم. بارك الله فيكم وكتب لكم الخير. تفضلوا بالجلوس"¹⁶. فنرى تقديرهم لزعيم الأمة وقتها ودور تقدير هذا الزعيم للشعب، خاصة في تلك الفترة العصيبة التي مرت بها مصر إبان ثورة 1881. "يبقى بعد هذا موقف الروائي من هذه الأحداث كيف يفسرها؟ ومن أي زاوية ينظر في تكييفه لها؟ ما دور عنصر الاختيار هنا أو الواقع الذي يكمن وراء اختيار الروائي لأخبار بذاتها لتصويرها.. إلى أي مدى يتأثر تصويره للشخصيات التاريخية بتقويمه لدورهم وانعكاس ذلك على البناء الروائي؟ وهي قضايا تتصل في صلب مضمونها بطبيعة الرواية"¹⁷. فالتاريخ الحقيقي من الممكن أن يصوره الروائي بطريقة يتقبلها المتلقي وتكون سبباً في تغذيته بمعلومات قد تكون غابت عنه؛ لأنَّ الروائي يقرأ التاريخ جيداً، خاصة تلك الحقبة التي يتناولها "فالتاريخ فن يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين والتوقيت وموضوعه الإنسان والزمان، ومسائله وأحواله المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة للإنسان وفي الزمان"¹⁸.

بأبي الكاتب بجملة مفتاحية لأشياء كثيرة، وهي جملة عبقرية حول التاريخ الفرعوني وكيف أن حال المصريين الآن لا يمكن أن يوصف بأي وصف؛ لأن أحفاد الفراعنة يجب أن يكونوا في مكانة أفضل مما هم عليها الآن نظراً للذل والمهانة التي يعيشونها، يقول الكاتب في معرض حديث السيد بلانشارد وهو أول أمريكي يقابله كوش في حياته: "لو يعلم أترابك أنهم أحفاد سلالة عظيمة لما تركوا أنفسهم لتلك الحال التي وصلتم إليها"¹⁹.

هذه الجملة والتي سطرها الكاتب وجاءت مخاطبة البطل كفيلاً بأن يكتب عنها كثيراً خاصة في تلك الأيام التي يحياها الشعب المصري بأكمله وتلك الصعوبات التي وضعوه فيها والآلام التي أصبح يكابدها فلم يجد من يخنو عليه بالفعل. والكاتب يبكي هذا الشعب من خلال هذه العبارة، فالتاريخ المصري قد سرق مثلاً في آثاره التي لم يستفد بها هذا الشعب، وهو ما عزف عليه الكاتب هنا في هذا العمل خاصة مع السيد بلانشارد تاجر التحف والآثار. يقول عن قطعة أثرية تلمع أمام كوش كو:

"هز كوش كو رأسه وهو يطالع التمثال الذي وقع في حبه منذ النظرة الأولى. سيكون عليك توديعه يا بني، فأنا حتماً سأشتريه. سيكون حديث توليدو كلها ويثير أحقاد معهد الدراسات الشرقية ومتحف بروكلين. قال صانع الزجاج بصوت رفيع موجهاً كلامه لزوجته. "ولكن ألا ينتمي هذا التمثال إلى هنا". قال كوش فجأة بالإنجليزية. "ماذا سيفعل بعيداً في أمريكا؟" هذا خطأ أن يغادروطنه"²⁰.

يعزف الكاتب على جزئية تاريخية مهمة على عظمة ذلك التاريخ الذي تمت سرقة منذ زمن بعيد ويكيي البطل الملهم على تلك الآثار التي تركها لنا المصريون الأوائل ولم ينتفع بها هؤلاء المصريون؛ لأنها سرقت، الأمر الذي جعل زوجة تاجر الآثار تذكر قولها إنهم يعرفون قيمتها وأن المصريين لا يعرفون تلك القيمة "تدخلت زوجة السيد بلانشارد الهادئة قائلة حين رأت امتعاض من كوش كو حول هذا التمثال: "هناك سنراعيه يا بني أفضل مما تراعونه هنا. لو كنتم تقدرون قيمة ما تملكون ما كان قد انتهى به الحال إلى دكان بقارة الطريق". تكسر قلب كوش في تلك اللحظة؛ لأنه وجد حديث المرأة محقاً بشكلٍ مهين"²¹.

قمة الإهانة ليس فقط لكوش كو، بل إهانة لهذا الشعب الفقير، الذي لم يجد يوماً من يرفق به، منذ الهكسوس، وحتى يومنا هذا، يعمل ليل نهار ولا يتقاضى إلا لقمة فقط تكفيه من أجل العمل وخدمة الآخر، حفر قناة السويس بأظافره ولم يقدره أحد وحين كان الواحد منهم يموت في الحفر كان يلقي مثل الكلاب، لا قيمة له، وكأنه قدر لهذا الشعب أن يظل في ذل ومهانة، وهذا ما انتاب كوش كو البطل في هذا الأمر وقرر ألا يعود إلى مكان تنتزع فيه ما يحبه وما يربطه بالبلد، يقول الكاتب: "تكسر قلب كوش في تلك اللحظة؛ لأنه وجد حديث المرأة محقاً بشكلٍ مهين وعزم على ألا يعود إلى الدكان مرة أخرى، فقد أصبح فجأة يمثل له محطة مغادرة أشياء يحبها تنتزع من بيئتها انتزاعاً، تماماً كما انتزعه خاله من أحضان أمه، فلا تعد موجودة ويظل يعاني من فقدانها"²²

البطل الملهم وشخصيات تاريخية

1- البطل وطه حسين

يجعل الكاتب من بطله أيقونة حقيقية في طلب المعرفة وشوقاً دائماً للتغيير، بدءاً من معرفته وملازمته **لطه حسين** منذ أن شب على عوده وجاء القاهرة، وأصبح كوش كو في قمة سعادته لأنه يتلقى علوم القراءة والكتابة على يد طه حسين الذي لا يبصر، وأبدع الكاتب في جعل المتلقي متعاطفاً ومنحازاً لشخصية البطل، الذي جاء من الجنوب ليعمل في فندق شهير هو "شبرد". وعبر رحلة عمره نرى

البطل يلتقي وبعد فترة من الزمان بشخصية طه حسين، يلتقيه في بيته في المكان المحبب لطفه والمحبب للبطل، وقد أصبح أستاذاً في الجامعة، والكل يعرفه، يلتقيه بعد أن عاد المرة الأولى من فرنسا ولم يستطع العودة نظراً لأجواء الحرب وعدم دفع السلطنة المصرية تكاليف سفره مرة أخرى لنجد أن البطل **كوش كو** كان سبباً في عودته إلى باريس ليكمل بعثته إلى هناك قال كوش: "ولكن حتما لا بد من حل. تفخر بك الصحف نموذجاً للتحدي وقدوة لطالب علم مصري ولمصر الجديدة. لم يحقق أحد ما حققته.. خاصة وأنت.. لم يستطع كوش إكمال العبارة فيقول له طه حسين: "نعم ربما يكون كف بصري قد أعطى قيمة لا أرغبها لمنجزي.. حتى أنت يا صديقي لا تنكفي ترى إعاقتي. ولكني أبغي استحقاق ما أفوز به في تلك الحياة.. لا لأني كفيف يستحق الشفقة، ولكن لأنّ لدي عقلاً أحترمه وأؤثر تسخيريه لمعركة النور"²³

سعى البطل كوش كو في مساعدة صديقه القديم طه حسين لإكمال رحلته نحو النور من أجل العودة مرة أخرى إلى فرنسا حتى يكمل الدكتوراه، بعد أن أوصل شكوى إلى السلطان وبالفعل تمت الموافقة على سفر طه حسين، وهنا نرى تأثير البطل في بعض شخصياته التاريخية يقول الكاتب: "دون معرفة أن كوش هو السبب في ذلك، سيعود طه حسين إلى فرنسا ويتم دراسته ويرجع إلى مصر ليتقلد أرفع المناصب، ويكمل معركته نحو النور التي بدأها منذ سنوات بعيدة وهو بعد فتى صغير مع رفيقه ومساعدته الأسمر الذي ولد معه في ذات العام وعلمه القراءة وأرشده نحو مناهل المعرفة"²⁴. في تلك الجزئية نرى تأكيداً من الكاتب على **مرور الزمن واللقاء** مرة أخرى بالمعلم القديم ورد الجميل "ولعل أهم مسألة في هذا السياق، هي أن الكاتب الروائي بخلاف الفنانين التصويريين، يقيم خطابه على مقولة الزمن. من المؤكد أن القصة تنقسم المكانية مع الفنون التصويرية، ولكنها لا تصوغها بنفس الأداء ولا تعرضها بنفس النهج"²⁵

وتأكيداً من الكاتب على تاريخ الثقافة العالمية أيضاً والعربية يقول طه حسين لكوش كو حول "فرتر: "هل تذكر فرتر يا كوش. وكيف أنساه؟. هل تعلم ذلك الشعور الوجداني الذي داهم كلينا حين قرأناه أول مرة؟ تلك الرغبة الرومانسية في إنهاء حياتنا على أعتاب الحب البائس ؟ أنتخيل يا صديقي أنني قرأت بحثاً يقول بأن مئات الشبان في عهد جوتة وبعده أقدموا على الانتحار حين قرأوا الرواية! مئات السنوات مرت ولا يزال ذلك العمل الأدبي يترك ذات الشعور في نفس من يقرؤه مهما اختلفت الأزمان! ألا يخبرك هذا بشيء عن الأدب العظيم وقدرته على توحيد الإنسان في كل زمان

ومكان²⁶. وما ذكره طه حسين يؤكد حقيقة وظيفة الرواية الأمر الذي انتواه الكاتب منذ البدء وهو التعليم "فلا ينكر أحد أن للأدب جانباً معرفياً، ولكن ذلك الجانب ليس أفكاراً منفصلة معزولة عن البنية الفنية في وحدتها. ومن السذاجة اعتبار أن النصوص الأدبية تشير مباشرة إلى واقع محدد كما يجري تصويره داخل وعي القراء وإدراكهم في لحظة معينة"²⁷.

ويأتي الكاتب على ذكر راسين الكاتب الفرنسي المعروف في معرض حديثه عن كوش الذي أصبح مثقفاً وكان قد أعطاه طه حسين ترجمته لأحد أعماله يقول الكاتب في ذلك من خلال الراوي العليم: "واصل التمتع بإجازته طوال اليوم مقضياً إياها في قراءة مخطوطة كتاب أهداه إليه طه حسين وهو عبارة عن ترجمته الخاصة لأحد أعمال راسين"²⁸.

2- البطل وأجاثا الإنجليزية

ويلتقي البطل بعدد من الأجانب الذين يرتادون هذا الفندق، كان اللقاء الأول مع تلك الفتاة الجميلة مع أجاثا ميلر تلك الفتاة الصغيرة الرقافة ذات البشرة البيضاء والتي وقع في حبها وعشقتها فأكملت هي الأخرى مرحلة تعليمية ثانية في حياة كوش كو، فتعلم على يديها الجميلتين مبادئ النطق بالإنجليزية، بعد أن وجدت لديه رغبة حقيقية وشغفاً للتعلم، وهو ما برع الكاتب في تصويره ليجعل المتلقي متعاطفاً مع هذه الشخصية "لم يفكر كوش في أي شيء يخص الفروق فيما بينهما. كل ما فكر فيه هو هذه الفتاة التي تستحوذ روحها شيئاً يتمناه، شيئاً يستحبه على البقاء حياً وفي هذا الفندق. منذ انقطار قلبه على رفيقه "طه" الذي لم يعد ليسأل عنه ظن أنه محكوم عليه بالبقاء في هذا الفندق إلى الأبد"²⁹. لم يعد لدى البطل إلا الهيام في تلك الفتاة الإنجليزية التي خلبت لبه وأصبح لا يرى سواها، وكأن الكاتب أراد أن يقول: إن كوش البطل يبحث عن العلم يبحث عن المعرفة مثل بلده مصر. فهو يبحث عن الجديد لدرجة أنه ذهب لشراء معجم لألفاظ عربية لها ما يقابلها بالإنجليزية. وهو ما جعله يبدأ بالحديث مع أجاثا التي رأت فيه شخصية محبة للعلم وعاشقة للمعرفة، والكاتب يؤكد تلك الحقيقة منذ البدء حتى المنتهى، وأيضاً يعطينا الكاتب بين الفينة والأخرى جرعات ثقافية مختلفة.

وقد زارت أجاثا الإنجليزية مصر 1906 مع بدايات القرن الماضي وهي في سن السابعة عشر من عمرها وتقع في حب وعشق عامل فندق شبرد "كوش كو" ويأتي الكاتب بهذه الشخصية ليؤكد أن هناك في الغرب من يعيش الحضارة المصرية القديمة فقد قرأوا عنها الكثير وتعلموا منها الكثير، فهذه

الفتاة كانت حلقة ربط ووصل بين الغرب الإنجليزي والشرق المتمثل في مصر وعشق مصر الفرعوني، يقول الكاتب: "فقد بدأ فصل الشتاء للتو، والكل أتى هرباً من شتاء أوروبا القارس، ولكن أجاثا بقدر ما تطمح إلى مميزات الحياة الأوروبية التي ستجدها متوفرة هنا، بقدر ما تشعر بغربة عجيبة، وسط بني جلدتها في تلك البلاد الحارة. تبحث بأعينها عن المصريين الذين درست أجدادهم كثيراً في كتب المدرسة، حيث تاريخ الفراعنة الذي خلب لبّها منذ نعومة أظافرها"³⁰

يؤكد الكاتب تلك الحالة التاريخية التي يعيشها الغرب فهم دائماً في حالة شوق لرؤية تلك الآثار الفرعونية العتيقة، وهو ما جاء أيضاً على لسان أجاثا معشوقة كوش كو تقول عن الأقصر: "آه تريد أمني اختطافي إلى هناك ولكنني أرفض. أريد البقاء هنا. الآثار الفرعونية عظيمة وكل شيء، ولكن من يدري ربما تُتاح لي الفرصة لرؤيتها فيما بعد.. ربما بعد سنوات حين أنضج كفاية كي أقدر قيمة هذه الآثار العظيمة، أما الآن فلا أكثرث. الحقيقة، أريد أن أمرح فحسب .. وإن كنت متأكدة أنها خلاصة. أنتم أناس طبيون للغاية يا كوش كو"³¹.

ارتباط كوش كو عاطفياً بهذه الفتاة أعطاه قوة غير طبيعية حتى ولو كان من طرفه فقط. وقد رأت فيه هذه الفتاة "مصر"؛ حيث الروح الطيبة والابتسامة الصافية مما جعلها تثق فيه وتصرّ على تعليمه الإنجليزية، فأرادت أن ترد له الجميل، حين قام بتصليح فستانها. وظلت على هذا الحال فترة الشهرين والنصف اللذين عاشتهما في القاهرة ليتغلغل عشقها بداخله، فهو إنسان قابل للتغيير قابل للتعليم غير أن الظروف التي أحاطت به وبحياته جعلته يعمل في هذا المكان في فندق "شبرد" كعامل جاء به خاله من بلاد النوبة. وقد طار فرحاً كوشكو حين وجد ورقة ملقاة من أجاثا التي عشقها فوق صينية التقديم في الفندق، وحين لمح تلك الورقة هرع إلى الداخل ليقراها:

"صديقي العزيز كوش كو. بت ليلتي أفكر كيف أرد لك صنيعة. غداً تسافر العائلة إلى الأقصر، وسيكون لديّ وقت فراغ كبير. لقد قررت تعليمك الإنجليزية طوال فترة إقامتي هنا، يتبقى لديّ شهران ونصف هناك الكثير من الكتب التي أود أن تقرأها. وأنت أيضاً ستخبرني بكل ما أريد معرفته عن مصر لأضمنه روايتي المستقبلية، وهكذا يربح كلانا! ما رأيك؟".

صديقتك الشاحبة

أجاثا"³².

يصير الكاتب على الثقافة التاريخية للفن، فيتناول لوحة **جان ليون جيروم** الضخمة الموجودة في غرفة أجاثا على هامش الحديث الذي دار بينها وبين كوش كو حين عرض عليها تصليح فستانها بعد أن شق في حفل الفندق حين رقصها وهو يذكر ذلك لتأكيد ارتباط الفتاة ثقافياً بالفن وأيضاً لمعيشة المتلقي للتاريخ أي تاريخ الفن، وكثيرة هي الومضات التاريخية للفن في هذا العمل تقول أجاثا: "أظن الشق حدث هنا بجانب أسفل الظهر" قالت وهي تكلم لوحة ضخمة لـ **جيروم** تصور قافلة من الجمال والبدو تعبر الصحراء بينما تشير بيدها خلف ظهرها. هذه الخصلات من شعرها تذيبه. ركع فوراً على ركبتيه ما إن رأى الشق الطويل الذي برزت من بين ثناياه بطانة الفستان البيضاء. في خفة أدخل طرف الإبرة وطفق يعقد خيوطاً أرجوانية بداخله"³³

من هنا ممكن القول: إن بلاد الشرق التي نخصت في أحضانها إبداعات فكرية وحضارية للعقل الإنساني "شكلت عالماً متوهجاً بروعة الإبداع وسحر الخلود.. فاجتذبت كثيراً من الأدباء والرحالة والفنانين، وكان من بين من عانقت فرشاتهم (ملاحم الشرق) وثبتت لحظات زمنية من التاريخ والتراث وصخب الحياة، في الشوارع والبيوت والأسواق والمقاهي، الفنان الفرنسي (جان ليون جيروم) 1824 – 1904، أحد أشهر الفنانين المستشرقين في القرن التاسع عشر الميلادي"³⁴.

يبين الكاتب أن الفندق أصبح مستشفى ميدانياً وقت الحرب العالمية الأولى وفي الوقت نفسه يظهر مظاهر الثقافة والفن في هذه القاعة الكبرى التي كانت مكاناً للرقص، يقول الكاتب: "بسرعة تم تخصيص قاعة الرقص الكبرى لتصبح مقر المستشفى الميداني. أزال العاملون تماثيل فينوس وإيزيس الرخامية بعناية فائقة ونقلوها إلى قاعات الطعام والموسيقى. وتم الإبقاء على لوحات كورنوفير العملاقة لتذكر الجرحى بأي أرض يعالجون"³⁵.

3- البطل وكبير خدم قلعة هايكلير

وكان كوش كو محظوظاً حين التقى في فندق شبرد بنزيل متميز هو في حقيقة الأمر كان خادماً فترة طويلة لشخصيات مرموقة ويعرف طبيعة الخدمة وقدسيته جيداً فيأتي الكاتب به لتأكيد **الفكرة التاريخية** التي انتهوا منذ البدء وأصبحت هناك علاقة متميزة بين كوش كو وكبير خدم قلعة هايكلير: "كانت هذه اللحظة بداية علاقة استمرت طوال نصف عام بين الماستر ستفتز، كبير خدم قلعة هايكلير العريقة الواقعة بمقاطعة هامبشير البريطانية، وكوش كو الفتى ذي التسعة عشر عاماً القادم من خلف شلالات النوبة العظيمة"³⁶.

وقلعة هايكلير Highclere عبارة عن منزل ريفي مدرج من الدرجة الأولى تم بناؤه عام 1679 وتم تجديده إلى حد كبير في أربعينيات القرن التاسع عشر، ويضم حديقة صممها Capability Brown في القرن الثامن عشر. ويعد قصر "هايكلير كاسل" من أعرق القصور أو القلاع البريطانية، وتتوارثه عائلة "كارنافون" الأرستقراطية ذات الشهرة التاريخية الخاصة بها. تربط عائلة "كارنافون" روابط وثيقة بالملكة "إليزابيث الثانية"، وهناك غرفة خاصة مخصصة للملكة أثناء زيارتها للقصر. يحتوي قصر "هايكلير كاسل" على متحف كامل خاص بالآثار المصرية القديمة، ويحكي المتحف قصة الاكتشاف التاريخي وكيف جرى التخطيط له من القصر في صيف عام 1921م السابق للاكتشاف³⁷.

وكانت نصائح كبير خدم قلعة هايكلير ستفنز لكوش كو في محلها وسار عليها طوال حياته كخادم في فندق شبرد "هل تعلم ما هو سر نجاحي طوال تلك السنوات؟ إنها لم تكن فقط معايير المرتفعة وقدراتي الخارقة، بل لأنني لم أشارك ولو يوماً واحداً في جلسات النسيمة التي يعقدها الخدم في المطابخ والأروقة. إن وجودك في بيت السيد يجعلك فرداً من عائلة، والرجل المحترم يحفظ أسرار عائلته ولا يلوّكها على الألسنة"³⁸.

يذكر الخادم الكبير ستفنز ما قام به في خدمة الطبقة العليا في قصر يوركشاير، وكيف أنه لم يرتبك حين جاءت الملكة إليزابيث له، فهو من الخدم المخلصين الواعين العارفين والمتقنين ثقافة حقيقية في كيفية تقديم أفضل الخدمات لكبار الشخصيات التاريخية، فنراه يفتخر بذلك متحدثاً مع كوشكو: "الذي يقف أمامك الآن كان له شرف الخدمة في حفل عشاء حضرته الملكة المبدجة تقدر روحها بقصر يوركشاير 1880. كيف لم أرتبك أو أسقط الصينية في حجر جلالته من الخوف، تسألني لأنني ببساطة كنت أقدم أفضل ما لدي لكل من أخدمهم بغض النظر عن كنههم وما هيتهم، ولم أكن متكاسلاً أو منافقاً لأخدم كل فرد تبعاً لوظيفته أو درجته العلمية"³⁹.

يلمح الكاتب من قريب أو بعيد إلى العلاقة بين الشرق والغرب، في شيء لم يتناوله أحد تقريباً من قبل عن تلك الفئة من البشر عن أولئك الذين يخدمون بصدق؛ سواء أكان في الشرق أم في الغرب، يؤكد على جزئية كيفية الاستفادة من الوافد الغربي، حتى ولو كان في مجال الخدم، مما يجعلنا نسترجع ذلك التاريخ الطويل من العلاقات التاريخية بين الشرق والغرب حين تناولها الكتاب في أعمالهم نحو توفيق الحكيم في "عصفور من الشرق" والحي اللاتيني" لسهيل إدريس، وأعمال أخرى عديدة ولكن

هنا وفي هذا العمل يربط الكاتب البطل بالتعليم وكيفية الاستفادة من الآخر من ناحية تقديم أفضل الخدمات وفي الوقت نفسه اتقان عدد من اللغات.

وقد رشح الكاتب لذلك من خلال بعض أعمال **جورج واشنطن** وتعليماته التي أرسى قواعدها في أمريكا خاصة النظام، فيذكر الكاتب قوله: "في عمر السادسة عشرة قام معلم جورج واشنطن الرئيس التاريخي لأمريكا بإملائه كتاب "110 قاعدة للتحضر والسلوك المهذب وهو كتاب وضعه اليسوعيون الفرنسيون عام 1595 كإرشاد لقواعد السلوك المجتمعي المهذبة ظل يرددها واشنطن طوال حياته"⁴⁰. ينبغي إذن "الإقرار بأن التحليل التاريخي هو الذي يسمح بفهم شروط الفهم، وذلك دون أن نجعل من معرفة الحقيقة التاريخية شرطاً ومقياساً للذة الجمالية، وهذا يؤدي بنا إلى استنكار المتع الأدبية أو الفنية التي هي وفقاً لأسطورة امفيتريون نتاج لسوء الفهم"⁴¹

يظل كوش كو في حالة التعلم والنهم من أجل المزيد ولمعرفة الجديد، وكان إهداء كتاب "دليل خادم المنزل" لـ **روبرت روبرتس الخادم الزنكي** من قبل الماستر ستيفنز طريقاً آخر للسير على هذا النهج القويم الذي أقره له ذلك الصديق الأجنبي يقول الكاتب: "الكتاب الذي يصاحبه هذه الأيام هو أحد الكتب التي ورثها عن الماستر ستيفنز الراحل "دليل خادم المنزل" تأليف روبرت روبرتس الخادم الزنكي لحاكم ولاية ماساشوستس.. وما فعله ستيفنز مع كوش كو جعله يدرك متأخراً أمراً لم يفهمه في البداية" أنه لم يكن يعده ليصبح نادل فندق عظيماً فحسب، بل للخدمة في أفخم البيوت والقصور أيضاً"⁴².

يفكر كوش كو في تلك الشخصيات التاريخية التي مرت حتى الآن في حياته؛ سواء تلك المصرية التي أثرت فيه أم تلك الأجنبية فيجد أن الجميع قد رحل وأنهم جميعاً لهم بصمات في تعليمه وتنقيفه، فيقف مبهوراً ليرى أن طه الفتى الضير لم يعد موجوداً في حياته وأن تلك الفتاة الجميلة أجاثا قد رحلت وعادت إلى ديارها وكذلك ستيفنز معلمه العظيم أصول الخدمة في البيوت، وتقريباً معظم تلك الشخصيات قد رحلت إما بالموت أو بالرحيل، ولكن عزاء كوش كو أن كل شخصية من تلك الشخصيات التاريخية قد تركت أثراً لن تمحوه الأيام، خاصة مع تلك الكتب التي قرأها للغرب والشرق وقد ذكر إسماعيل مظهر قوله في الثقافة والعلم والرفي الاجتماعي: "فروع العلم الحديث واسعة النطاق .. وهي على تباين مراميها ووجهاتها، متحدة الغاية. فإن الغاية منها تنقيف الإنسان والعقل الإنساني. فهي مراقبة يتعلق بأسبابها الإنسان لكي يصل إلى أبعد حد مستطاع من الرفي الاجتماعي"⁴³.

إن النص الأدبي الذي يسرده الكاتب والذي يحمل في طياته أدبية حقيقية هو محاولة لرصد المسار التاريخي وإعادة إنتاجه فنيا لكي يكون مقبولاً عند قراءته، ولكي يعطي إشارات للتاريخ الذي تم تزويره؛ لأنَّ المبدع الحقيقي لا يزور في كتاباته "وكل نص في هذا المعنى يعيد صياغة المتعارف عليه والإشكال يتجسد في الفائدة التي تناولها من وراء النص. فالأكيد أن ما يميز النص عن الواقع المحمول ضمن النص أدبيته. وهذه الأدبية هي السر في التعامل مع النص الثقافي. وهي السر في كون المبدع يمتاز بالرؤية الجمالية والفنية"⁴⁴.

4- البطل ونجيب الريحاني

يعتمد الكاتب التاريخ من خلال بطل العمل حول المسارح في القاهرة وتاريخ تلك المسارح ومكانتها؛ لأنه عاشق للقاهرة ويعلم حقيقة العلم الدور الكبير لتلك المسارح في التهذيب والتثقيف فيتناول مسرح الأزيكية من خلال ذلك المسكين الذي يبحث له عن مكانة فوق خشبة المسرح. يسعى نجيب بكل ما أوتي من قوة ليصل إلى هدفه فقد ترك وظيفته والبيت الهادئ الدافئ. وحين وجده كوش كو بائساً يجلس على تلك الأريكة القديمة ناظراً بعينه نحو الأزيكية ومسرح الأزيكية تعجب من جلسته الوحيدة، ولكنه علم بعد ذلك أن الإنسان قد يضحي بأي شيء من أجل الوصول إلى حلمه الذي يتمناه. يقول الكاتب مبيناً الصعوبات التي واجهها نجيب من أجل البحث عن الهدف: "انضم نجيب إلى فرقة مسرح وعرفت أمه "القاسية كحزمة القصب" فطرده من المنزل. ومن يومها وهو متسكع يبيت في المقاهي حتى طرده أصحابها لأنه لا يدفع ما عليه"⁴⁵.

يأتي الكاتب بشخصية نجيب من أجل إظهار عظمة القاهرة، وما كان فيها من مسارح عبر تاريخها الحديث، محاولاً الربط بين البطل ونهمه من ناحية، في معرفة المزيد عن المسرح، ورغبته في رؤية الأشخاص على تلك الخشبة وبين شخصية نجيب ذلك المسكين الذي ترك كل شيء من أجل طموحه منذ الصغر من ناحية أخرى.

نجيب هذا هو الفنان نجيب الريحاني، وبعد أن أصبح معروفاً يلتقي بكوش البطل فيسعد كوش أنه ساعده في يوم من الأيام بإطعامه وقت أن كان بائساً مطروداً من بيته ووظيفته من أجل هدفه يقول الكاتب على لسان نجيب الريحاني مخاطباً كوش: " ألا تذكر يا صديقي الطيب ذلك الفتى الشقي الذي لقيته يوماً منذ سنوات بعيدة مستلقياً على دكة في حديقة الأزيكية وهو يتضور جوعاً؟ ومضيت تمده بما لذ وطاب من الطعام والشراب والدخان لأيام ! إنه أنا يا صديقي، تذكر كوش كل شيء

وعانقه بحجارة غير مصدق. على الرغم من النجاح الذي أصابه نجيب الريحاني في العامين الماضيين⁴⁶. يربط الكاتب الفن المتمثل في نجيب الريحاني وبين الأرض التي أخرجت هذا الفن، من خلال مسارح القاهرة وتاريخها.

"اعتاد كوش على صخب فرق التمثيل وأعضاء الأوركسترا الذين يأتون من كل بلاد الدنيا للعرض على خشبات الأوبرا وتياترو الأزيكية المهيب، ولكنه لم يكلم أياً منهم وكل علاقته بالمسرح ما يراه بشارع عماد الدين من يافطات وما يقرؤه في الجرائد من إعلانات"⁴⁷.

ونلمح قيمة المسرح من أحاديث رفاة الطهطاوي وعلي مبارك حين عادا من فرنسا وذكر أن للمسرح دوراً عظيماً في فرنسا وهو مادة أصيلة للثقافة ونقل المعارف فكانت الترجمات المسرحية البوابة الأولى لتقوية دور المسرح في مصر "وعندما نتحدث عن المسرح في مصر؛ نجد أنفسنا نعود بالتاريخ إلى يوم الاثنين الموافق الأول من نوفمبر سنة 1869. وهو يوم افتتاح دار الأوبرا الخديوية؛ بوصفها المسرح الحكومي الرسمي الأول، الذي يؤرخ لبدايات المسرح في مصر علماً بأن مسرح حديقة الأزيكية تم افتتاحه عام 1873، وكان الشيخ رفاة الطهطاوي أول مترجم مسرحي في مصر"⁴⁸

هنا، وفي هذه الجزئية يقترب كوش كو من تاريخ الفن خاصة المسرح عبر شخصية نجيب ليتعلم منها أن الهدف الذي يسعى إليه الإنسان يجب أن يضحي بكل ما هو غال ونفيس من أجل الوصول إليه، من أجل ذلك وقع الاهتمام على شخصية البطل ليكون النواة لاستقبال مختلف المعارف حتى في المسرح "شكل الاهتمام بشخصية البطل حقلاً متميزاً من حقل السردية التي ما زالت الدراسات النقدية تثير حولها كثيراً من الجدل، ذلك أنّ شخصية البطل الروائية في السرد عالم مبطن بالإيحاءات والرموز، تحمل أبعاداً نفسية واجتماعية، فهي مفصل السرد ودعامة العمل الروائي، فمنها تنطلق فضاءات العالم الداخلي للإنسان تترجم ما يتلجلج في الذات من همّ وألم، وهذا ما يجعلنا دائماً نبحث عن مفهوم البطل وصوره في الرواية العربية من حيث الماهية والوظيفة"⁴⁹.

يحتل البطل أو النموذج في الآداب مكانة مهمة، فعليه تدور الأحداث ومنه تتبلور الأفكار والقيم كما ذكر من قبل ميشال بوتور "بأن البطل تتحدد رسالته من خلال الروائي في ثنايا السرد والأصل أن البطل شخص من طبقة عامة الشعب أو البرجوازيين"⁵⁰. وهو كذلك هنا من عامة الشعب وأفقرهم.

ويرى جورج لوكاش "أن البطل لا بد أن يعمل على اقتحام الكون كما يجب أن يكون في تجربته الذاتية بممارسته كحالة نفسية أو بتحويلة إلى تجربة وجدانية تعاش بالفعل"⁵¹. وهذا هو حال البطل في هذا العمل، فعلى الرغم أنه جاء من أقصى بلاد مصر من الجنوب إلا أنه استطاع أن يتعايش وأن يثبت وجوده، وكانت الإشكالية في أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة، ولكنه بعزيمة ومثابرته وبالظروف التي وضع فيها استطاع تعلم القراءة والكتابة منذ البدء حين التقى بالفتى طه حسين ليقوم على مساعدته وفي المقابل يعلمه القراءة والكتابة ثم يبدأ في رحلة طويلة مع عدد من الشخصيات عبر دول العالم خاصة الدول الغربية ليتعلم منها اللغات الأخرى، وقد استطاع، وصدق جورج لوكاش حين ذكر أن البطل عليه أن يقتحم هذا الكون بكل قوة ليثبت ذاته كما فعل هنا كوش كو. وأصبح البطل هنا قادراً على اقتحام الكون.

فالعمل الأدبي الذي نحن بصددده هو مرآة حقيقية للبطل الذي يطل علينا بين الفينة والأخرى مؤكداً دوره الحقيقي في هذا المجتمع حتى ولو كان خادماً في فندق، ونعرف من خلاله الظواهر الأدبية المختلفة في العمل؛ لأنَّ الكاتب سرد هذا العمل في وقت متأخر عن الأحداث بحكم أن زمن القص يأتي بعد زمن الحكاية، ولو كان القص تاريخياً فهو يبرهن فنياً على تلك الحقائق التاريخية، والتي ارتبطت بالحقائق السياسية والاجتماعية.

وللبطل صورتان؛ بطل يظهر في الرواية "بوصفه بطلاً حق البطولة"⁵² كما نراه في الملاحم وقصص الفروسية يعبر عن اتجاه إيجابي، ينتصر على ما يعترض طريقه. وبطل لا نقصد منه سوى الشخصية التي يعني الكاتب بها عناية كبيرة ملقياً عليها الضوء والحركة لتنتقل سلوكاً معيناً أرادته الكاتب من خلال تصويره على نحو ما ليعبر عن وعي وأصداء نفسية عميقة، وقد يمثل طبقة أو طبقات مختلفة في المجتمع"⁵³. وكان البطل قد مثل تلك الطبقة التي لم يتناولها كثير من الأدباء في أعمالهم وهي الخدم في البيوت والقصور والفنادق.

البطل الملهم والمكان

كوشكو باعتباره شخصية رئيسة في العمل أصبح مركزاً للجميع مركزاً يلتقي عنده الوافدون إلى فندق شبرد حيث العبق التاريخي للقاهرة، وجعل منه الكاتب أيقونة قابلة للتطوير والتغيير إلى الأفضل، قابلة للتعلم الذاتي والانفتاح على الآخر، فأصبح بطلاً ملهماً، والبطولة لكوش كانت منطلقاً له جعلت منه نبراساً لكثير من الشخصيات الثانوية، كما أنَّ الكاتب جعل من المكان محوراً للعمل. ذلك المكان

الذي هو "الفندق"، ومن المعروف أن الفندق يأتي إليه السائحون من كل مكان فكان القصد من الكاتب أن يبرز شخصية البطل من خلال عملها هنا في هذا المكان والتقاء الشرق بالغرب وأن يكون ملتقى لشخصيات العمل بأكملها، وأن مصر منفتحة على الجميع، بحكم أن البطل كوش هو في حقيقته مصر المتعطشة للحرية.

نلاحظ أن الكاتب انطلق من المكان ذلك المكان هو فندق "شيرد" بوسط القاهرة، وجعله مصدراً لكثير من الأحداث التي ارتبطت بالبطل وبفكرة الوعي عنده. والكاتب يجعل من خلال هذا الصنيع في روايته ارتباطاً حتمياً بين الأشخاص والمكان بحكم أن المكان نقطة الانطلاق كما كان عند الروائيين من قبل "إن وعي الكتاب الروائيين في مستهل القرن العشرين، للتصرف بالمكان في تشكيل شبه العالم الخاص بالرواية، بات أكثر ضبطاً ودقة ودلالة على رؤية الكاتب ومن ثم يمكن القول: إن قراءة المكان في الرواية العربية الحديثة قد تكشف عن شبكة العلاقات المتضادة وتلك المتآزرة بين الشخصيات في سياق السرد على حد قول هنري ميتران⁵⁴. ذلك أن المكان له خصوصياته بالواقع الاجتماعي والثقافي، فلا يوجد أي كائن على ظهر البسيطة إلا وله ارتباط بالمكان. والإنسان كائن من الكائنات الحية المحبة للمكان بحكم أنه إنسان، وله سيكولوجية معيشية مرتبطة بالواقع الذي يحياه، فهو أول ما يبحث عنه الإنسان وآخر ما يتبقى منه، وفندق شيرد هو مكان تشعبت منه الشخصيات الروائية، ذلك الفضاء الروائي الذي أوحى لغاستون باشلار بالخيال الشعري الوداد، حيث تحول هذا العالم من فلسفة العلوم إلى فلسفة الفن وعلم الجمال، وعني بالخيال الذي وصل به إلى عنان السماء. "إن الفضاء شرط الوجود الإنساني، وتعيّنه الذاتي لا يتحقق إلا به وفيه. والحضور والغياب يكونان في الفضاء. فحضر الشخص، أي حل في فضاء، وغاب، أي حل في فضاء آخر. الفضاء هو البدء والمنتهى"⁵⁵. مثل الفندق.

وقد ذكر غاستون باشلار أن "تحديد القيمة الإنسانية لأنواع المكان الذي يمكننا الدفاع عنه ضد القوى المعادية، أي المكان الذي نحب. وهو مكان ممتدح لأسباب متعددة مع الأخذ في الاعتبار الفروق المتضمنة في الفروق الشعرية. ويرتبط بقيمة الحماية التي يمتلكها المكان والتي يمكن أن تكون قيمة إيجابية، قيم متخيلة سريعاً ما تصبح هي القيم المسيطرة"⁵⁶. وقد يكون المكان غير مستحب للشخصية أو للإنسان إذا كان هذا المكان سجنًا مثلاً، والسجن هنا مرتبط بالشخصيات أيضاً، فمصر بأكملها كانت سجنًا بسبب الإنجليز وحين انطلقت الثورة انطلقت معها الحرية وأصبح المكان

محبباً لأهلها الأحرار، بوجود الأبطال والزعماء الحقيقيين الذين قدموا تضحيات من أجل الاستقلال. وهذا ما يؤصل للرواية دورها كما ذكر الدكتور عبد الملك مرتاض بأن "تأصيل الرواية العربية يتمثل في اتجاه القصاصين العرب إلى إنشاء نصوص سردية منطوية على العناصر الأجناسية المشتركة بين النصوص، ومنفتحة على خصائص التراث السردى العربى لطرق قضاياهم بأسلوب مبتكر"⁵⁷ "لقد شكل الفضاء على الدوام "محايتاً للعالم" تنتظم فيه الكائنات والأشياء والأفعال، معياراً لقياس الوعي والعلاقات والتراتيبات الوجودية والاجتماعية والثقافية، ومن ثم تلك التقاطعات التي انتهت إليها الدراسات الأنثروبولوجية في وعي وسلوك الأفراد والجماعات والتي تنبه — ضمن ما تنبه إليه — إلى نوع من اختراقات الفضاء لنا، لأجسادنا، لأفكارنا لوجداننا، ولمعارفنا"⁵⁸.

والمجتمع يحيا بأناسه وعاداته وتقاليده ولغته ولهجته والأديب هو من يستطيع التعبير عن تلك الآلام التي عاشتها البلاد في أوقات بعينها خاصة أوقات الاستعمار وأثر المكان في ذلك كما عبر ولاء كمال في هذه الرواية من ذكره لأماكن زعماء الأمة مثل أحمد عرابي وسعد زغلول "حيث يصبح للمكان وجوده من خلال عناصره التي تشير أو تقيم فضاءً صالحاً للحياة البشرية التي تكوّن بدورها مجتمعاً يضع لنفسه أساساً حياتية من أهمها اللغة التي تعد أساساً أو ظاهرة استاتيكية يأخذ المكان في تسويرها إلى حد ما، بأن يخلق لنفسه لغته الخاصة التي يمكننا أن نحددها بدقة لهجته الخاصة التي تعد تنفيذاً للأساس اللغوي وظاهرة ديناميكية تتحرك على الأساس الاستاتيكي للغة"⁵⁹.

كوش كو والإنجليز

كان المجتمع المصري في بدايات القرن الماضي يغن من الإنجليز والمستعمرين فيؤرخ الكاتب لتلك الآلام من خلال البطل وأقاربه فقد أتى دور كوش كو مع خاله والنوبيين الآخرين المتشردين في بقاع مصر يعملون في الفنادق وبيوت الباشوات وقصورهم، وهم يعلمون أشياء لا يعلمها الآخرون، أراد الجميع أن تكون لهم كلمة مسموعة في خدمة الوطن وحاولوا تغيير مفهوم الإنجليز وبعض المصريين عن النوبيين فليسوا خدما ولا سفرجية فقط، بل هم من هذا الوطن ويجب أن يكون لهم دور فيه خاصة في طرد المحتل الإنجليزي من البلاد يقول الكاتب على لسان خولي صديق كوش كو: "أن الأوان أن يدرك هؤلاء المنافقون الذين يتعاونون مع الإنجليز أننا سنحول حياتهم جحيماً. لا نقتل ولا نخون، ولكننا أداة طيعة في يد من يريد خدمة هذا الوطن"⁶⁰.

من هنا يأتي دور البطل الروائي ليتحد مع البطل الوطني النضالي ليصبح كوش هو الآخر بطلاً مناضلاً من أجل إثبات الذات والتضحية من أجل هذا الوطن العظيم الذي يستحق من الجميع التضحية ومن أجل إثبات أن النوبيين من أصل هذه البلاد وقادرون على الدفاع عنها وإبعاد فكرة أنهم لا يرتبطون بهذا البلد "لقد رقدنا في سبات طويل لسنوات، وأن الأوان لتفريق هذه البلاد من رقدتها، إنهم يظنون أننا مسالمون وضعفاء، ولا حول لنا ولا قوة، هذه آفة الإنجليز يا كوش، يظن أننا قبلنا هذا الاحتلال وتآلفنا معه. ولكن الحقيقة غير ذلك تماماً. سوف يصبح صمتنا وتوارينا خلف رداء الخادم الوفي هو سلاحنا. إن عددنا يفوق كثيراً ما يمكن تخيله"⁶¹.

لم يكن كوش كو أول المناضلين بل إن النوبيين منذ قديم الزمان وهم في نضال مع هذه الأرض وأيضاً مع الزعيم أحمد عرابي ونضاله ضد الإنجليز، ومن يتقول على النوبيين بأنهم خائنون أو أنهم لم يقفوا مع هذا البلد فقد ظلموا أنفسهم قبل ظلم الآخرين، يقول الكاتب عن هذه الحقيقة التاريخية تحديداً "إنك لا تعرف خالك يا كوش. لا تعرف من هو. لا تعرف أنه آمن بعراي وانكسر بانكساره. في ذلك اليوم حين حاول صد الإنجليز عن الإسكندرية كان خالك يعمل هناك في بيت أحد الكباريات. ترك كل شيء وحمل السلاح. قتل منهم. هناك قابله وعرفته. كنت أصغر. ودعنا عرابي إلى سيلانة. وأقسم خالك يومها أنه لن يترك حقه أبداً. صدقنا أنه سيعود. لم ينتفض أحد. عشرون عاماً من الصمت مرت ولم يعد عرابي"⁶².

البطل كان يستمع لهذا الحديث وبداخله فورة من بركان الغضب ضد المحتل الذي أراد أن يسرق البلد، وهو ما ظهر بجلاء حين رأى تاجر الآثار المصرية يقلب أمامه التمثال، ويؤكد له أن المصريين لا يقدرّون قيمته. هنا بدأ كوش كو ينتبه ويذكره خولي بأنه لم يعد صغيراً بل أصبح شاباً عليه أن يتحمل المسؤولية: "حين نموت أنا وخالك إن لم يكن الإنجليز قد رحلوا استكمل أنت.. أنت من سيجمل اللواء.. لذا فعليك الآن أن تبدأ ولا تنظر خلفك أبداً.. أجبر كسره وكسرنا جميعاً"⁶³.

وفي الوقت الذي يؤكد فيه البطل النوبي كوش كو أنه على استعداد كامل ومعه النوبيون المخلصون للدفاع عن مصر ضد هؤلاء الإنجليز نجد الكاتب في الوقت ذاته يزعج بالخيبات الوطنية وعلى رأسها "بطرس غالي" فليس لديه ولاء لهذا البلد، بل إن ولاءه الحقيقي للإنجليز وهو خائن فقد وقف مع الإنجليز وظهر ذلك بجلاء حين حكم على عدد من المصريين بالإعدام في حادثة دنشواي، ومنذ ذلك اليوم علم المصريون بحقيقة عائلة بطرس غالي حتى اليوم فهم يكرهون المصريين وليس لهم ولاء لهذا البلد

العظيم أهم شيء لديهم أن يمحوا دماء المصريين يقول الكاتب عن اغتيال بطرس غالي على يد الصبدي إبراهيم الورداني: "عرف كوش من قراءته النهمة للجرائد باغتيال رئيس الوزراء بطرس غالي منذ أكثر من شهرين. على الرغم من أن عالمه لم يكن يتعدى ذلك الفندق الذي يصحو ويعمل وينام فيه، إلا أن الجرائد وقراءته النهمة لها كانت وسيلته الأولى للاتصال بذلك العالم الواسع في الخارج"⁶⁴.

لقد كان الكاتب محققاً في تسليط الضوء على تلك الشخصية التي عرفت بالخيانة فقد كان بطرس غالي مؤيداً لانفصال السودان عن مصر، فضلاً عن دعمه ليكون مشروع قناة السويس لصالح الإنجليز لسنوات طويلة، أي أن البطل أصبح على علم بما يحاك بهذا المجتمع، وكيف أن للخيانة دورها في تحطيم هذا البلد، والنبل منه. يقول الكاتب في هذا الشأن ليؤكد تلك الخيانات وعدم الانتماء: "كان رئيس الوزراء المقتول مؤيداً لانفصال مصر عن السودان، وأن تصبح مقاطعة محكومة من الإنجليز. ولكن الأخطر هو دعمه الكامل لمشروع قانون مد امتياز قناة السويس للإنجليز لأربعين عاماً أخرى"⁶⁵.

إن الحقائق التاريخية لم تطمس من قبل الخائنين؛ لأنَّ هناك مخلصين احتفظوا بها ليعلموها للكافة من المصريين. وأن الروائي الذي يأتي على ذكر تلك الجزئيات فهو يؤكد مدى ارتباطه بهذا الوطن والمجتمع الذي يعيش فيه، فضلاً عن ذلك، فإن أجداد النوبيين خاصة والمصريين عامة قد ماتوا في حفر قناة السويس. وهو ما أشار إليه الكاتب في قوله على لسان خولي: "فالخال لا يزال يذكر حين كان يخدم في حفل المتوية بالسفارة الفرنسية حين أتى خطاب تائه عمره شهران يقول إن كوش قد ولد وأن جده لقي حتفه بالقناة حين كان يعمل بالسخرة في حفرها، ولذلك اعتادت أمه القول بأن تلك القناة مربوطة بعائلته برباط الدم، ولم يكن الجد الوحيد من أفراد قبيلة كوش الذي مات في خنادق القناة العظيمة"⁶⁶.

يؤكد الكاتب على الجزئية التاريخية في العمل خاصة في العمل الوطني وكيف أن الخائن بطرس غالي قد قتل على يد إبراهيم الورداني، ويتعجب الكاتب من أن الموقف الرسمي كان يدين ما فعله الورداني على الرغم أنه قتل خائناً للوطن يقول الكاتب: "وكان لبطرس غالي دور آخر استدعى كراهية مضاعفة من خال كوش وخولي على الأخص، وبقية المصريين بشكل عام. كان هو قاضي محاكمة دنشواي الذي حكم بالإعدام على 4 من الفلاحين المساكين"⁶⁷.

وظلت الروح الوطنية في قلب كوش كو تتزايد وتتفاعل بسبب الأحداث التي مرت بها البلاد وكان دائماً يتساءل كيف لهؤلاء الإنجليز الذين عايشهم وأحب بعضهم كيف لهم يصرون على نخب خيرات البلاد ومعهم مجموعة من الخونة الذين نهبوا ثروات مصر وكبتوا حريات أهلها؟ يقول الكاتب عن البطل الملهَم: "سيبدأ في قراءة الجرائد والمجلات بعين مختلفة، ويهتم أكثر بالمقالات السياسية، وسيعرف أكثر عن مصطفى كامل الذي خطفه الموت شاباً منذ عامين وسيتابع ما يكتبه محمد فريد وبقية أعضاء الحزب وسيتشكل وعيه السياسي والوطني بدرجة هائلة على مدار هذا العام، وسيبدأ رويدا رويدا في رؤية الوجه الآخر للرجال البيض ذوي الشعور الشقراء والوجوه الحمرة، الوجه البغيض"⁶⁸.

إنها مرحلة تحول البطل من حالة إلى حالة من عدم إدراكه لبعض الأمور إلى حالة الإدراك، لأنه لم يطالع الحقيقة المرة لهؤلاء الاستعماريين، فنضوج عقله وفكره بمعرفة من حوله جعله يدرك الحقيقة بأن هؤلاء قتلة ومحتلون ومتربصون بهذه البلد. والأدهى من ذلك أن معهم مجموعة من الخونة أمثال بطرس غالي وغيره "هكذا سار مفهوم البطل في الرواية الجديدة يمثل صراع الجماعة في سبيل التغلب على هذا الاستلاب"⁶⁹. من هنا أصبح شعور البطل ووعيه كلاهما "ينقل روح القبيلة أو الجماعة وشعور كل الناس"⁷⁰.

ويذكر الدكتور سعيد مقديش أن البطل أصبح "شخصية مهمة فقط ، وتكمن أهميته في أنه ينقل مجازاً عن الآخرين في المجتمع ما ييطنونه من أفكار ومشاعر، هموم ومآسٍ ، تظهر من خلال حوار الدخلي الذي يعبر عما أصاب الإنسان من إحباط وخيبة، مصير تعيس في العصر الحديث أمام تحديات المجتمع وما تفجر منه من قيم متداخلة، وصراعات فكرية حادة ، فأنت ترى بطل الرواية المعاصرة اليوم يراهن، يتحدى يطمح وينكسر، يعكس إيمانا مترعزا وضياعا فكريا وخيبات متتالية. ذلك هو بطل اليوم بكل مواصفات الواقع الراهن"⁷¹.

وفي زيارة لروزفيلت بعد انتهاء مدة رئاسته لفندق شبرد كان البطل كوش كو قد علم حقيقة هؤلاء فبعد أن خرج روزفيلد من السياسة جاء لزيارة القاهرة ولقاء الخديوي على هامش زيارته ليحاول التأكيد على وجود فتنة طائفية خاصة بعد اغتيال بطرس غالي، ليؤجج نار الفتنة فيقول للخديوي: "نعم نعم بالطبع، إن الأقباط سيشعرون بالغدر لا شك. ولو لم تحركوا بسرعة لظنوا أن هناك تحالفاً متعمداً. هذه الروح العدائية التي يحملها أتباع الحزب الوطني لا بد وأن تضربوا عليها بيد من حديد.. احمر وجه الخديوي عباس وبدا أنه قد فاض به الكيل. وضع الملعقة من يده ورفع منديل القماش

ومسح فمه بينما يتلع طعامه ونظر بحدة مباشرة "سيد روزفلت. أنا موقن من ثقة سيادتكم في خبرتكم السياسية التي تفوق خبرتي بكثير، ولكن أرجوك لا تظن أن تلميحائك لا تتضح لي. في الحقيقة لدي ما يكفي من مشاكل". قال الخديوي بينما يتحرك بالفعل مبتعداً عن الطاولة: "ابن القحبة يريد أن يشعل فتنة دينية في البلاد"⁷².

تذكر الدكتور نوال سليماني أن البطل لا بد أن يكون "ذا قيمة أخلاقية ومعنوية ومثل أعلى كما أنه مصدر زهو المجتمع ولذلك حظي بمكانة كبيرة في الممارسات الاجتماعية والدينية في كل الحضارات. من هنا تبدأ فكرة البطل اجتماعياً وسياسياً وكذلك دينياً، ويعني ذلك أن البطل لا بد أن يأخذ بيد مجتمعه لينظمه ويقوده في الحرب إلى النصر"⁷³. وهنا نرى كوش كو قد مثل المجتمع اجتماعياً بعلاقاته التي بناها مع الآخرين بالداخل والخارج، ولكنه استفاد من تلك العلاقات كثيراً في معرفة صعوبة الحياة، وكيف ينهض من مكانه فكرياً وثقافياً، وحين حكى له خاله عن بطولات عرابي، فإنه يعود إلى نفسه لبحث فيها عن بطولة ليقدمها للناس ووجد أنه من الممكن أن يكون نواة حقيقية للثورة ضد الإنجليز.

"فكل ما يروى من حكايات الأبطال موجود في ذاكرة البطل تاريخياً واجتماعياً وفكرياً، فمن خلال الذاكرة تنتظم الحكايات، بمعنى أن كل شيء خط في نسيج الحكايات هو من صنع ذاكرة الرواة/ الأبطال، فالبطولة من هذا المنطلق تتجه اتجاهاً فردياً تبحث عن إمكانية تأسيس علاقات بالمجتمع وبالأخرين"⁷⁴.

والمجتمع هنا، وفي هذا التوقيت يحاول النهوض من كبوته والوقوف ضد المحتل من الإنجليز والخونة وكان البطل كوش كو قد عقد النية على ذلك فشارك في تلك الجمعية السرية للنوبيين من أجل النيل من المحتل. و "تتأني للشخصية أهميتها كعنصر أساسي في الرواية، من اهتمام الرواية بتصوير المجتمع الإنساني الذي يشكل فيه الشخص العمود الفقري، والقوة الواعية التي يدور في فلكها كل شيء في الوجود"⁷⁵. وهنا وفي هذا الاتجاه نجد الرغبة الحقيقية عند البطل في التغيير، خاصة وأنه أصبح مثقفاً وفاهماً للأمور أكثر من الأول، وكلما تقدم في السن شيئاً فشيئاً زاد إدراكه لماهية هذا المجتمع. "فشخصية البطل هي القلب الذي يتمحور حول الخطاب السردى، وهي عموده الفقري الذي تركز عليه"⁷⁶.

أصبح البطل في صراع مع نفسه ومع الآخرين أولئك الذين يتربصون بمصر وأهلها إنهم الإنجليز ومجموعة من الخونة الموجودين في كل زمان ومكان، أولئك الذين قامت ضدهم ثورة عظيمة هي ثورة 1919 حين اتحد الهلال مع الصليب من أجل طرد الإنجليز بعد أن ناء الحمل بهذا الوطن الكبير، وكأن مصر على موعد مع القهر والظلم والاستعباد وأرادت أن تنقّض عن كاهلها هذا الحمل الثقيل فوجدت من المخلصين من يتحملوا الأمانة فكان الزعيم سعد زغلول. وعلى الرغم أن بعض "النقاد يجمعون على أن الرواية تصور بطلاً من نوع جديد بطلاً ليس فيه من البطولة سوى اسمها، والبطل في الرواية المعاصرة لا ينفر بتلك الفضائل التي كان أبطال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين يتحلون بها"⁷⁷ إلا أن كوش أثبت جدارته. وحبّه لهذا الوطن، وأصبح بطلاً بمعنى الكلمة لأنه يحارب المستعمر. "فالبطل في الدول النامية إنما هو بطل يعاني من رواسب الاستعمار والعقد التي خلفها كما يعاني من قضية التخلف الاجتماعي، ومن ثم فإن موقفه على الأرجح موقف الإنسان المتمرد على واقعه، العاجز عن الانتماء له، فالبطل الذي يلازم التقدمية ثوري والذي لا يلازمها انقلابي"⁷⁸ فإذا كان البطل قديماً في الأساطير قد "تفرد بمواجهته للقوى الغيبية، شأنه في ذلك شأن البطل الأسطوري، فإن الأدب العربي، الرسمي منه والشعبي، حفل بمثل هذه الصورة للبطل وفق المفهوم التقليدي، وعودة سريعة إلى سير العرب وأيامهم كافية لأن تضع القارئ في صورة هذا الحضور"⁷⁹. لكن البطل صاحب الفكر المتحرر في الرواية المعاصرة أثبت ذاته وأصبح قادراً على تغيير دفة الأمور. وهو ما يقوم الكاتب الروائي بنسجه على منوال السرد "فالأديب يؤدي معاني وخواطر وأفكاراً وهو ما يفرق بينه وبين الموسيقار.. أما الأدب فلا بد فيه من الأفكار والخوارج والخواطر والمعاني حتى يؤثر فينا وحتى نحس بمتاع فيه"⁸⁰.

إن الفكرة التاريخية للأحداث التي انتواها الكاتب منذ البدء ظهرت بجلاء من خلال البطل؛ حيث صبَّ جام غضبه من خلال البطل على الاحتلال الإنجليزي لمصر مبيناً تلك الحقبة التاريخية العصبية التي عاشتها البلاد خاصة وقت الحرب العالمية الأولى وما تلاها من ثورة 1919 وزعيمها سعد زغلول والسلطنة العثمانية وقذارة الاحتلال الإنجليزي ووقوف مصر صامدة أمام تلك التدخلات ودخولها حرباً ليس لها فيها ناقة ولا جمل سوى أن الإنجليز فرضوا الحماية على مصر ونلاحظ مدى الذل والمهانة من كلمة "الحماية" فهل الحماية للبلاد أم الحماية لمصالح الإنجليز في البلاد يقول الكاتب حول تلك الأمور: "ترزع السلطنة تحت احتلال حقيقي الآن، وكأن كل هؤلاء الإنجليز الذين كانوا

يروحون ويحيئون في مصر منذ قبل مولد كوش كو قد ارتدوا طاقية الإخفاء وكانوا أشباحاً يسكنون العاصمة، ولكنهم فجأة صعدوا إلى السطح وظهروا إلى العيان مكشزين عن أنيابهم⁸¹. إن دلالة كلمة "حماية" فيها من الشقاء والألم والذل الكثير. نعم كانت حرباً ليس لنا فيها شيء، ولم تعد علينا إلا بالخراب ولكن أرادت إنجلترا أن نكون تابعين لها، فهم في الأساس محتلون لهذه البلاد، ولكن تلك الحرب الكبرى التي دارت رحاها في أماكن عديدة ومنها مصر لم تكن لنا فيها ناقة ولا جمل يقول الكاتب في حوار بين الطبيب حلمي وأحد الإنجليز: "إننا نحارب هذه الحرب نيابة عنكم، مسؤولية الرجل الأبيض بغية إن سألتني الحقيقة. هذه الحرب تدور رحاها بين دولكم المتحضرة ولا علاقة لنا بها! الحقيقة إنكم تزجون بنا في معركة لا ناقة لنا فيها ولا جمل، فقط لأننا رعايا إمبراطوريتكم المبعجلة"⁸².

يعتز البطل بانتماؤه لهذا البلد الكبير من خلال مشاركته في الجمعية السرية للنوبيين وقد عبر الدكتور طارق البشري عن الانتماء للوطن بقوله: "تظهر في كل مرحلة تاريخية وحدة الانتماء العامة التي تُعتبر الحلقة الكبرى والأساسية التي يتشكل المجتمع وفقاً لما تُفقيه، والتي تُعتبر الوحدة الحاكمة لغيرها، وتتلور وحدة الانتماء وفقاً للأوضاع التاريخية والاجتماعية التي ترشّحها لأن تقوم بالوظيفة الأساسية وأن تستجيب للتحديات الأساسية التي تُواجه الجماعة بوحداًها كافة في مرحلة تاريخية معينة"⁸³ أن الآوان - كما قال البطل كوش كو - أن يرحل الإنجليز عنا وهناك "فريق يؤيد وجهة النظر القائلة بأن القوى الوطنية عليها مخاطبة الإنجليز مباشرة والمطالبة باستقلال مصر إثر انتهاء الحرب وتخليص بريطانيا العظمى من معاناتها العالمية، وهذا الفريق لا يمانع أن تخلص البلاد في مساعدة الإنجليز على عبور أتون الحرب فتكسب بذلك ودهم وتستحق الاستقلال"⁸⁴.

وقد أكد الكاتب على لسان البطل أن قبول مصر بالحماية البريطانية يعني أن الأتراك قد تخلوا عن مصر، لأنَّ مصر كانت تابعة للسلطنة العثمانية ولم يجد أبناء مصر بداً ومنهم البطل كوش أن يعتمدوا على أنفسهم في عدم الركون للعثمانيين وفي الوقت نفسه الاستعداد، وبكل قوة لطرد وإجلاء الإنجليز حتى تنال مصر استقلالها "بقبول تلك الحماية اللعينة يكون الأتراك قد تخلوا عنا وبتنا وحدنا. سندفع جميعنا الثمن، فقد غرز الوحش أسنانه في لحمنا ولن يفلت فكه عنا سوى بالدماء، وبيدنا فقط يتقرر مصيرنا"⁸⁵.

ثورة 1919 كانت مرحلة فاصلة في تاريخ البلاد وزعيمها كذلك سعد زغلول، وحين يتناول الكاتب تلك الثورة العظيمة هو في الوقت نفسه يتناول ما يسمى بأدب المقاومة، يقول الكاتب: "الأخبار تأتي ملغزة بأن الشعب حتماً سيتحرك، وأن القلاقل في بيت سعد زغلول، المسمى ببيت الأمة، قد وصلت أشدها هذه المرة خشية وصولها إلى أي شخص خارج محيط المطبخ، خاصة وأن السيد ستيفنسون الطيب كان قد استيقظ في ذلك الصباح بإمساك مزمن ووجهٍ ممتقع كأنه على وشك ملاقاته الموت. ولكنه لم يكن وحده الذي سيواجه الموت في ذلك اليوم العظيم"⁸⁶

"ليس هناك عملٌ أدبيٌّ جادٌ في تاريخ الإنسان القديم والحديث يمكنه أن يخلو من هذه السمة البارزة، وهي المقاومة؛ لأن هذا العمل يفقد عنصراً خطيراً من مكونات وجوده إذا خلا — من أحد وجوهه — من فكرة الصراع بين الإنسان والكون، سواءً تَمَثَّل هذا الكون في الوجود الطبيعي أو النسيج البشري"⁸⁷.

يؤكد الكاتب من خلال البطل الملهّم كوش كو والذي يمثل في هذه الحالة الثورية مصر، أن الثورة لا بد وأن تأتي ثمارها حتى ولو ضحى الكثيرون من أجل نيل الحرية. فخرج كوش كو وخاله العجوز وخولي مرددين تلك الهتافات الرنانة التي كانت تصدح في كل مكان مع عامة الشعب المصري من طلاب ومحامين ومهندسين وأزهريين ومسيحيين فوجد وحدة حقيقية بين المسلمين والمسيحيين فاتحد الهلال مع الصليب يقول الكاتب في هذه الجزئية التي تؤكد على اللحمة الوطنية: "رأى كوش قسيساً يسير بجانبه وهو يكي بينما يحمل صليباً ضخماً يحاول أن يحمي وجهه به من الرصاصات الطائشة. لم يكن يحتمي بالصليب رمزاً فقط، ولكن بقوة المسيح التي لا بد وأنه أيقن أنها حاضرة معه في تلك اللحظة"⁸⁸.

قتل خولي في المظاهرات ولم يستطع كوش الوقوف مكتوفي الأيدي وسارع لقتل الجندي الذي أطلق عليه النيران وقتل خولي أمام عينيه، واشتعلت نيران الثورة وخرج طلاب المدارس من كل مكان مرددين الجلاء الجلاء والاستقلال الاستقلال، وخرج الأزهريون من المسجد الأزهر لينضموا إلى تلك الجموع الغفيرة مرددين تلك الشعارات الرنانة التي ما زالت أصدائها موجودة حتى الآن "لم يكن القدر وحده، بل إرادتهم الحرة التي يشعرون بها تنتقل من قلوبهم إلى حلوقهم فحناجرهم لأول مرة منذ أتى المحتل اللعين قبل سبعة وثلاثين عاماً. سبعة وثلاثون عاماً من الليل الذي لا يريد أن ينجلي. الآن باتت

اللحظة تتوحد وتنتهي إلى ما ستنتهي إليه، ولكنها ستنتهي. شيء ما سيحدث ولن يقدر أحد على منعه. اليقين الآن لن يقف أمامه حائل"⁸⁹.

هذا النص الإبداعي للكاتب يستحق أكثر من قراءة نقدية من ناحية أدب المقاومة ومن ناحية النقد نفسه "إن النصوص الأدبية هي أعمال لغوية تتمتع صياغتها اللفظية بأهمية غير عادية. لذلك يجدر بنا أن نقاوم أية محاولة لاستبدالها بصياغات أخرى فتوكيدها محددة، وأفكارها معبرة عنها بطريقة معينة تتمتع بقوة فريدة، وتعبيرها بصورة عامة يظل في الذاكرة"⁹⁰.

لقد كانت تلك الثورة مصدر إلهام لكثيرين من المؤرخين والأدباء والكتاب خاصة المصريين الذين عاشوا لحظات فارقة من خلال النداء بالاستقلال التام أو الموت الزؤام "وقد أسس عبدالرحمن الكواكي قاعدته التي تقول بأن الاستبداد لا يقاوم بشدة، إنما يقاوم بالحكمة والتدرج. على هذا الموقف ووفق الكواكي فإن هذه المقاومة الحكيمة والتدرجية إنما تتحقق عبر الوسيلة الوحيدة الفعالة لقطع دابر الاستبداد، وهي ترقى الأمة في الإدراك والإحساس وهذا لا يتأتى إلا بالتعليم والتحميس"⁹¹.

الكاتب في هذه الرواية متأثر بطباع الاستبداد للكواكي وقارئ نهم فقد جعل من كوش كو البطل طريقاً لاستلهم الأمم من خلال التنوير والحث على النيل من المحتل الإنجليزي، خاصة وأن البطل عاش تلك الفترة العصيبة بعد الحرب العالمية الأولى وصولاً إلى ثورة 1919 "وعلى الرغم من ريادة الكواكي في مناهضة "طباع الاستبداد" فإنه ينبغي أن نضع في حسابنا أن الكواكي كان تنويرياً أكثر منه ثورياً. وتنويريته هذه هي التي جعلته أقرب إلى رفاة الطهطاوي"⁹².

وطبيعة الحال هناك من التنويريين والمثقفين من أراد النهوض بهذا البلد بعد تلك الثورة ولكن أرادوا النهوض بالعلم والثقافة لا بالقوة وعلى رأسهم أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد وقد ذكر أن "استقلال الأمة نتيجة تربية طويلة واعتقادات وميول عامة وأطماع كبيرة لا تهيئها دفعة واحدة ولا في جيل واحد، بل تختمر فيها وتنتج نتائجها الطبيعية بالزمان"⁹³. وذكر من قبل في كتابه "تأملات في الفلسفة والأدب والاجتماع" أنه "إذا كانت الديمقراطية وسلطة الأمة هي الهدف فإن الطريق إلى ذلك طريق واحد لا غير حيث لا طريق لذلك إلا التعليم والتربية"⁹⁴.

وهنا، كان كوش كو باعتباره بطلاً قد نضج فكره ونضجت ثقافته في المجتمع وتعلم وتثقف، وكان ذلك بفضل علاقاته الاجتماعية بالآخرين ورغبته الحقيقية في الوصول إلى الهدف، وهو الموضوع نفسه الذي تناوله الدكتور عبدالسلام الشاذلي تحت عنوان "شخصية المثقف في الرواية العربية" وهو من

الأهمية بمكان "فالعوامل والمؤثرات العامة التي كونت شخصية الإنسان المثقف في الفنون الأدبية الحديثة بصفة عامة وفي الرواية المصرية الحديثة بصفة خاصة، هي أيضاً عوامل كثيرة ومعقدة للمثقف من حيث هو إنسان علم ومعرفة وموقف حضاري عام تجاه عصره ومجتمعه إنسان شديد "التأثير" بالبيئة الاجتماعية المحيطة به، كما أنه في الوقت نفسه إنسان شديد "التأثير" في وسطه الاجتماعي، وفي محيط عالمه وعصره. وذلك لما له من قوى فكرية خاصة ومواهب روحية ونفسية متميزة"⁹⁵.

فالمثقف في هذا العمل قد استطاع أن يبحث له عن مكان بدءاً من كوش الذي تعلم وتنور وأصبح فاهماً لكل مجريات الأمور السياسية والأدبية والفكرية، ومروراً بشخصية نجيب الريحاني الفنان الذي وقف بجوار الشعب في أثناء ثورة 1919؛ لأنه فنان ومثقف واع فضلاً عن المثقف الكبير الذي كان سبباً في تعليم البطل قبل أن ينطلق نحو العالمية، وهو الدكتور طه حسين، من هنا يمكن أن نقول: إن شخصية المثقف في الرواية العربية تستحق الدراسة وأن هذه الرواية "كوش كو" هي رواية شخصية مثقفة، ورواية مكان تاريخي وأيضاً هي رواية دائرية؛ سواء أكانت الدائرة المكانية أم الزمانية. وحين ننظر جيداً لتلك الشخصيات فنجد أن الكاتب لم يأت بشخصية سياسية أو أدبية إلا وكان لها حظ عظيم من الثقافة.

وكانت طريقة الكاتب في تصوير البطل والشخصيات المحيطة به تؤكد انتواءه الفكرة التاريخية المرتبطة بوحي الشخصية لها من حيث "الملامح الفكرية، ويكون ذلك بناء على المراتب التي يضعها للشخصيات فكلما علت برز البطل شخصية رئيسية انطلاقاً من وعيها وبصيرتها وقدرتها على الارتفاع الواعي بما هو شخصي"⁹⁶.

نتائج البحث

- ما زال الروائيون يتعلقون بأستار التاريخ ليستقوا منه مادة روائية خصبة، تساعد في إنجاز عمل أدبي متميز، وهو ما قام به الكاتب المصري ولاء كمال، فقد توقف عند جزئية تاريخية مهمة في تاريخ مصر الحديث لم يتناولها كثيرون وحاول تقديمها للمتلقي بطريقة أدبية وفنية متميزة فاستطاع استنطاق التاريخ في فترة ما بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بدءاً من ثورة عرابي على الظلم والاستعباد ومروراً بالحرب العالمية الأولى ونتائجها على الأرض المصرية وصولاً إلى ثورة 1919، وهي فترة تميزت بالنضوج الفكري والثقافي في مصر مع وجود أعلام في الأدب مثل طه حسين وأحمد لطفي السيد وغيرهما الذين جاء

ذكروهم في العمل وفي الفن مثل نجيب الريحاني الذي عرج عليه الكاتب في العمل، وعدد من الأدباء خاصة الذين تصدوا للاحتلال الإنجليزي أمثال عبدالرحمن الكواكي وكتابه "طبائع الاستبداد" والحديث الممتع حول مواجهة الغطرسة بالفكر والفن والثقافة.

- يعتمد الكاتب الزمان والمكان الدائريين فنرى الزمن الدائري في البداية والنهاية وأيضاً المكان فقد كانت البداية قدوم كوش من بلاد النوبة ثم عاش رحلة طويلة تغذى فيها بالعلم والثقافة بسبب رغبته في ذلك مثل ما كان في مصر آنذاك فكوش هو مصر ومصر هي في كوش نفسه في حالة القوة والضعف، وعاد محملاً بالكتب والميراث الثقافي إلى النوبة أي أن البداية من "النوبة" والنهاية كانت "النوبة" جنوب مصر، وكأن الكاتب أراد أن يرسل عدداً من الرسائل أن هذا المكان لو أعطى حقه كاملاً في التعليم والثقافة سيكون منارة من منارات العلم، وعلينا عدم تهميش النوبة فيكيفنا أن شيفرة حرب أكتوبر كانت نوبية. فالنوبة منطقة عزيزة على كل المصريين وهو ما أراد أن يقوله الكاتب.

ونرى الزمن الدائري في التعليم فقد جاء كوش كو إلى القاهرة وهو لا يعرف القراءة أو الكتابة ثم عاد بعد رحلة طويلة إلى موطنه ليعيش في النوبة مرة أخرى في أخريات حياته ويصر على تعليم أبناء قريته القراءة والكتابة فكما تعلم هو في القاهرة فيعود الآن ليعلم أبناء قريته والقرى المجاورة وهو أمر يحسب للكاتب، مع التكيف الاجتماعي للحياة في تلك الفترة التاريخية المهمة.

ونلمح كذلك الزمن الدائري حين تناول الكاتب الأديب الدكتور طه حسين فقد كان مصدرراً للنور لدى البطل كوش كو، حيث علمه القراءة والكتابة ثم انطلق البطل في قراءة الآداب العالمية بفضل طه حسين، ثم يتركنا الكاتب فترة ليعود بعدها ويؤكد جزئية الزمن الدائري حيث يلتقي مرة أخرى البطل كوش كو بصديقه القديم طه حسين، ولكن متى وأين؟. فقد كان طه حسين قد بلغ اسمه الآفاق بعلمه وثقافته، ويجعل الكاتب من البطل أيقونة حقيقية في رد الجميل لطفه فقد توسط له حتى يعود إلى فرنسا مرة أخرى بعد أن رفضت السلطنة المصرية إكمال بعثته، هنا نرى الزمن الدائري وكان الكاتب موفقاً في ذلك. فضلاً عن ذلك ما رأيناه مع نجيب الريحاني، فقد وجده البطل بجوار حديقة الأزبكية على الدكة دون أكل أو شرب، بعد أن رفض وظيفته وتم طرده من البيت من أجل تحقيق هدفه

- وقد كان فعطف عليه كوش كو ثم يتركنا الكاتب مع سرده عبر أحداث متتالية ومتفرقة لينبئنا في النهاية بالزمن الدائري وكيف أن البطل قد قابل النجم نجيب الريحاني مرة أخرى، لكن بعد أن أصبح نجيب الريحاني في قمة مجده ويصُرُّ على رد الجميل للبطل كوش كو. هنا نرى موقفين: **الأول**: وقوف طه حسين مع البطل ليكون سبباً في نخوضه وتنويره ثم يعود كوش ليرد الجميل من خلال دائرة الزمن. **الموقف الثاني**: عند نجيب الريحاني يأتي هو نفسه بعد ذلك ليرد الجميل لكوش كو، بالفعل كان الزمن لديه دائرياً وكذلك الأمر المكان.
- جعل الكاتب من المكان انطلاقة حقيقية مرتبطة بتاريخ ذلك المكان؛ حيث جعل فندق "شبرد" التاريخي في قلب القاهرة هو مصدر الانطلاقة الحقيقية لأحداث عظيمة ونضالية في وقت الثورة المصرية مع زعيمها سعد زغلول. وقد أرسل لنا الكاتب عدداً من الرسائل خلال ذلك الفندق بأن القاهرة هي صانعة الأحداث لمصر، بحكم أنها العاصمة الكبرى لها، وأن هذا الفندق قد التقى فيه معظم شخصيات العمل حيث كان محور ارتكاز للرواية منذ البدء حتى النتهى.
 - العلاقة بين الشرق والغرب، وكيف أن الحوار والأخذ والعطاء هو سمة التقاء الحضارات وأن الحضارات تأخذ من بعضها البعض ولا تتصارع. استفاد الغرب من العرب كثيراً وبأبي البطل ممثلاً في كوش كو ليتعلم من أجاثا اللغة الإنجليزية ومن كبير خدم قلعة هايكلير حقيقة الخدمة وأصولها، وأشياء أخرى عديدة نحو الفن وذكر فنانيين عالميين في العمل مما يؤكد ثقافة الكاتب الغربية والعربية.
 - فكرة الثورة متأصلة في الأدب العربي، وقد عبر عنها الأدب العربي بطرق متعددة خاصة الثورات الحقيقية وليسست المزيفة. الثورات التي تخرج من الشعب ويقودها الشعب، مثل ثورة 1919، فكانت ثورة صادقة فجاء الأدب عنها أيضاً صادقاً معبراً تعبيراً أدبياً عظيماً عنها خاصة في جزئية "اللحمة الوطنية" واتحاد الهلال مع الصليب، حتى تقف البلاد عصية على أي تدخل مغرض من الخونة في الداخل أو القتلة من الخارج.
 - حملت الرواية في جعبتها "أدب المقاومة" فالبطل قاوم الإنجليز بكل ما أوتي من قوة ومعه أهله وأحبابه من النوبيين وما فعلوه من تأسيس جمعية سرية للنوبيين لمواجهة الإنجليز، وهو

ما يؤكد اصطفااف الجميع ضد الإنجليز وجاءت الرواية صادقة في التعبير عن المقاومة فيما يعرف بـ "أدب المقاومة"

¹ ولاء كمال هو كاتب وروائي مصري ولد بإنجلترا ودرس الأدب العربي؛ الترجمة، الإعلام، و السينما. صدرت له روايات: "سكون"، "سيد والعصابة"، "القداس الأخير" التي رشحت بالقائمة القصيرة لجائزة ساويرس الثقافية، و"أيامي مع كايروكي وحكاية جيل أراد أن يغير العالم" إلى جانب عدد من الأعمال المترجمة وجميعها صادرة عن الدار المصرية اللبنانية.

² ولاء كمال، رواية "كوش كو، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى القاهرة 2024 ص 5

³ صندوق نور الدين، حدود النص الأدبي، دراسة في التنظير والإبداع، دار الثقافة، المغرب، 2006 ص 14

⁴ د. حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، دار المعارف، الطبعة الثامنة، القاهرة 1960 ص 12

⁵ جان بياجيه، البنيوية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1985 ص 45

⁶ حفيفة عبدالمالك، مناهج النقد الحديث والمعاصر بين السياق والنص، مجلة أدبيات، الجزائر 2019 ص 185

⁷ ولاء كمال، رواية "كوش كو، ص 8

⁸ عزوز علي إسماعيل، المعجم المفسر لعبتبات النصوص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة

2019 ص 265

⁹ د. محمد فكري الجزار، العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998 ص

21

¹⁰ كلثوم القبطي، وحسنية حاج، مملكة كوش ما بين القرنين 1، 7، رسالة ماجستير كلية العلوم الإنسانية

والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر 2021 ص 5

¹¹ J. D.; Clark, J. Desmond; Oliver, Roland Anthony (1975). [The Cambridge](#)

[History of Africa](#) . Cambridge University Press. [ISBN:978-0-521-22215-0](#).

Archived from [the original](#) on 2020-07-08.

¹² Richard A. (9 Dec 2003). [Historical Dictionary of Ancient and Medieval](#)

[Nubia](#) . Scarecrow Press. [ISBN:978-0-8108-6578-5](#). Archived from [the](#)

[original](#) on 2020-05-05

¹³ ولاء كمال، رواية، كوش كو، ص 8

¹⁴ د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1997 ص

534

¹⁵ سعيد مقيديش، تطور صورة البطل في الرواية العربية، مجلة مقامات، العدد الأول، الجزائر، 2017 ص 14

¹⁶ ولاء كمال، رواية، كوش كو، ص 39

¹⁷ د. أحمد إبراهيم الهواري، نقد الرواية في الأدب العربي الحديث، عين للدراسات والبحوث الإنسانية

والاجتماعية، القاهرة 2003 ص 45

¹⁸ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ. مطبعة بولاق القاهرة 1349 ص 7

¹⁹ ولاء كمال، رواية، كوش كو ص 99

²⁰ ولاء كمال، رواية كوشكو، ص 103

²¹ ولاء كمال، رواية كوشكو ص 103

²² ولاء كمال، رواية كوشكو، ص 103

²³ ولاء كمال، رواية كوشكو ص 189

²⁴ ولاء كمال، رواية كوشكو ص 201

²⁵ عبد الوهاب الرقيق، في السرد، دار محمد علي الحامي، الطبعة الأولى، تونس 1998 ص 26

²⁶ ولاء كمال، رواية كوش كو ص 190

²⁷ بيير بورديو، قواعد الفن، ترجمة إبراهيم فتحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2015 ص 6

²⁸ ولاء كمال رواية كوش كو ص 191

²⁹ ولاء كمال، رواية كوش كو ص 60

³⁰ ولاء كمال، كوش كو، ص 57

- 31 ولاء كمال، كوش كو ص 68
- 32 ولاء كمال، رواية كوش كو، ص 71
- 33 ولاء كمال، كوشكو، ص 67
- 34 عرفة عبده علي، صخب الشارع الشرقي في لوحات جان ليون جبروم، مجلة العربي، العدد 562، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 2021
- 35 ولاء كمال، رواية كوش كو ص 193
- 36 ولاء كمال، كوش كو، ص 78
- 37 عبدالعزيز العويد، أطلس المواقع التاريخية، جريدة الشرق الأوسط، العدد 211، في تاريخ 2018/3/2
- 38 ولاء كمال رواية، كوشكو، ص 84
- 39 ولاء كمال، رواية كوشكو، ص 84
- 40 ولاء كمال، كوش كو، ص 91
- 41 ببير بور ديو، قواعد الفن، ترجمة إبراهيم فتحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2015 ص 434
- 42 ولاء كمال، رواية كوشكو، ص 95
- 43 إسماعيل مظهر، كتابات في تاريخ الفكر والحضارة، تحرير وتقديم د. أحمد إبراهيم الهواري، دار عين للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة 2014 ص 5
- 44 صدوق نور الدين، حدود النص الأدبي، دراسة في التنظير والإبداع، دار الثقافة، المغرب، 2006 ص 14
- 45 ولاء كمال، رواية كوشكو، ص 98
- 46 ولاء كمال، رواية كوشكو، ص 227
- 47 ولاء كمال، رواية كوش كو، ص 98
- 48 د. سيد علي إسماعيل، هيلانة الجميلة. أول نص مسرحي مترجم عن الفرنسية للطحطاوي، جريدة الراي الكويتية في 4 يونيو 2015
- 49 سعيد مقديش، تطور صورة البطل في الرواية العربية، مجلة مقامات، العدد الأول، الجزائر، 2017 ص 12
- 50 ميشال بوتور، بحث في الرواية الجديدة، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3، 1983 ص 82
- 51 G.LUCAS: la theorie du Roman, GhoniEr, France, 1969, P: 173
- 52 محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1997 ص 534
- 53 سعيد مقديش، تطور صورة البطل في الرواية العربية، مجلة مقامات، العدد الأول، الجزائر، 2017 ص 13
- 54 أنطوان أبوزيد، الرواية اللبنانية، الفضاء ودلالاته والروى الناضجة، مجلة فصول، العدد 108، القاهرة، خريف 2022 ص 287
- 55 جوزيف .إ. كيسنر، شعرية الفضاء الروائي، ترجمة لحسن احمامة، الطبعة الأولى، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2003/ص 7
- 56 غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر/ بيروت 1996 ص 31
- 57 د. فوزي الزمرلي، شعرية الرواية العربية، بحث في تأصيل أشكال الرواية العربية ودلالاتها، مؤسسة القدموس الثقافية، دمشق سوريا، 2007 ص 9
- 58 د / حسن نجمي، شعرية الفضاء السردى، المركز الثقافي العربى، الطبعة الأولى، الدار البيضاء 2000، ص5
- 59 د/ مصطفى الضبع استراتيجيه المكان، سلسلة كتابات نقدية العدد 79، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة/ 1998.ص357
- 60 ولاء كمال، رواية كوش كو ص 108
- 61 ولاء كمال، رواية كوش كو ص 108
- 62 رواية كوش كو ص 109
- 63 رواية كوش كو ص 110
- 64 رواية كوش كو ص 111
- 65 رواية كوش كو ص 111
- 66 ولاء كمال، رواية كوش كو ص 111
- 67 ولاء كمال، رواية كوش كو ص 112

- 68 ولاء كمال، رواية كوش كو ص 113
- 69 د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1997 ص 535
- 70 ألبيرس، تاريخ الرواية الحديثة، ترجمة جورج سالم، منشورات عويدات بحر المتوسط، ط2بيروت، باريس 1982 ص 440
- 71 سعيد مقديش، تطور صورة البطل في الرواية العربية، مجلة مقامات، العدد الأول، الجزائر، 2017 ص 16
- 72 رواية كوش كو، ص 132
- 73 نوال سليمان، البطل في رواية "دمية النار" لبشير مفتي، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة 8 ماي 1954، الجزائر 2017 ص 5
- 74 المصطفى مويقن، بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة، دارالحوار، اللاذقية - سورية، ط1، 2005 ص 255
- 75 محمد رياض وتار، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 1، 1999، ص 160
- 76 جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، ع 13، جوان 2003، جامعة منتوري، 1 قسنطينة، ص 1.
- 77 شكري محمد عياد، البطل في الأدب والأساطير، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1959 ص 149
- 78 مراد وهبة، البطل في النول الحديثة النمو، مجلة الطليعة، يناير 1965 ص 85
- 79 حسن عليان، البطل في الرواية العربية في بلاد الشام منذ الحرب العالمية الأولى حتى عام 1973 المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2001 ص 1.
- 80 د. شوقي ضيف، البحث الأدبي، طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، دار المعارف، الطبعة السابعة، القاهرة، 1992 ص 11
- 81 ولاء كمال، رواية كوش كو ص 2015
- 82 ولاء كمال، رواية كوش كو ص 206
- 83 طارق البشري، منهج النظر في النظم السياسية المعاصرة لبلدان العالم الإسلامي، دار الشروق، القاهرة 2005 ص 38
- 84 رواية كوش كو ص 199
- 85 رواية كوش كو ص 181
- 86 رواية كوش كو ص 249
- 87 غالي شكري، أدب المقاومة، مؤسسة هندأوي، وقد صدرت نسخة هذا الكتاب الأولى عام 1970، القاهرة 2024 ص 28
- 88 رواية كوش كو ص 524
- 89 رواية كوش كو ص 521
- 90 بول هيرنادي، ما هو النقد، ترجمة سلاف حجاوي، مراجعة د. عبد الوهاب الوكيل، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الأولى سلسلة المائة كتاب، العراق، 1989 ص 34
- 91 د. نادر كاظم، الثورة بوصفها سردية كبرى، عالم الفكر، العدد 4 المجلد 43 أبريل يونيو 2015، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 138
- 92 د. نادر كاظم، الثورة بوصفها سردية كبرى، المرجع السابق ص 138
- 93 أحمد لطفي السيد، مبادئ في السياسة والأدب والاجتماع، ضمن كتاب تراث أحمد لطفي السيد، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية ط1 القاهرة 2008 ص 370
- 94 أحمد لطفي السيد، تأملات في الفلسفة والأدب والسياسة والاجتماع، دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى، القاهرة 2008 ص 538
- 95 د. عبدالسلام الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى لبنان، 1985 ص 8
- 96 د. صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، الطبعة الخامسة، القاهرة 1995 ص 115